

دمشق في المدار الخفي

علائل الحجام

- 1 -

ارقصي ما تتسائين في بئر دمك يا حلوة الطرف عارية
واخلمي عنك كل البراقع ، كل المساحيق
اقنعة الزيف في سمر الصيف
لم تعد اللحظة المستريية مخمورة بكؤوس الزمان القديم .
انا أعرف من همق جرحي كتاب جراحك ، اتقن - ترحا -
قراءة ما خطته الدموع على الصفحات

و اتقن صوغ القيود سيوفا
وسبك الدموع ارتعاش انتصار على سهوة الفرحات
و لكن ببني وبينك غابات بين ، وسفرة نار
تهشمني في الفيافي الموات
وهكذا كتابك لي قدس ، و سلام على وجدك المستهام
وسنبلة في الحقول التي لا تنام
لحبرون تصهر قيدا بنار هواها
وتمشي على شوك غدر السنين الطويلة
ليبروت تحمل من دمها المرغينا وخاتم عشق براها
وتنفث في ليها والدخان المهيض ونقع الرصاص الليالي الجميله
- فكيف يخون المتيم قلبه ؟
- وكيف يساقي دما فيه بعض مناه ، ويغفال ربه ؟
- وان كان ، كيف يكون نزييف الجراح ، و لون الجراح
اذا امتزج الدمع بالدمع ، و اغرورقت بدماء العشيقيين عينا الصباح ؟
- وكيف يكون الحبيب خناجر غدر وغابة مكر
و حديرون قلب وراء ستار الخيانة ينزع من صدره
ويسعى على دمه هائما في الطريق على وجهه في يديه
الفاتيح نار هوى ثم يجرى

و تجرى الدقائق نازفة روحها في الشوارع
عبر الشواطيء أنشودة لا تموت
و لا يحتسي خمرها في سنين المذلة ثغر السكوت.

- 2 -

وها أنت مزهوة باللقاء الحزين على ساحة الموت كي لا تموتي
فهل ستكونين مقبرة و الاحبة بوابة و شواهد
وكل عشيق يهيم ببارك يمسي سرائح مخنارة في المواثد
ومن ينصت الصرخات سوى القلب ، آه ، وصوت الرصاص دخان
و يرق يهد النهار بسيف الدمار على الشرفات
فكوني زلازل ان كان لا بد ان تقبلي موتك الابدية
كوني قنابل تتسف حزنك
كوني دمارا ، وكوني انتصارا يشقان مسلك عزك
عبر جبال المحال ...

الا أيها البحر كن منهلا في سنين الظلام
و رو زهور الشوارع ، قبل جذور الصنوبر كن كوثرى
دماء عروق ، هواء غريق ، ونسم سلام
بدا وتولى
و لتكن و لتكن ... ان ملحك أحلى .. !

- 3 -

و قادمة من حريق الحداثق ، تنفض عنها رماد الكنائب
تقسم أن هواها حياة طويلة
ونبع يصارع قحطه في ظلمات المصائب يسقي السهول الجميلة
نردت مواعدها في زحام الشوارع ، غر المراتع
تحمل المغرباء المناشير سرا
وتحمل للتعساء المقيمين في ليلاها حقنات
تثير الحمية كان يصادها النع دهرها
فاضحت رياحا وبحرا
واضحت مواعدها في جفون دمشق الحريقة نورا ونارا
تخطط بالنار عقد المحبة جهرا .. !
هو الجرح يخبرها اليوم ان سقيقتها في الظلام على موعد معها
قلبيها في التراب عروق تساقيه حب السنين
و نصل رماح تصيد عيون الصباح
خيام يزنرها اللئل تدرسها الخيل

أكواخ قهر تداعت على أهلها
عندنا تسعينا في دياره يحيا غريبا ، فينتشر الموكب المتحرق
في ظلمة الكهف ، تلك طعون الغريب
وهذى طعون الحبيب .
و يختمر الحزن و انكون صوتا من العمق يعلو :
هو السيف أعرف معدنه الامريكي قد شجه دم كل أبي
وها هو ساعتها في فؤادي يغرسه القاتل العربي .
هو في ساحة القتل سيف سيده
و في ندوات السلام
يخبز خطبته في فتوحات حرب الكلام :

تبارك للحب عز التراب
لتحيا زهور القبور
أوه ... وتحيا جسور العبور
ويحيا الهواء ، ويحيا اليباب

- 4 -

دمشق أناديك نائرة في الكهوف
وتزهري وصدري على نطح فجرى
مذابح تولم فيها السيوف
فكوني ضياء
لنا صلاة تتوهج في العيد حين يعود الوليد
تكسر ما بيننا من جبال رفات
حين تغفو الحياة .
فيقتصب الجسر شهما يسافر فينا سواقي دماء
تلون بالعز خد الخلود .
وانت على العهد مضغوطة في أسارى ،
أقرا عبر سطور جراحي التي خطبتها جمار الرماح
(بانك معشوقة وعشيقة)
وانك سيف المودة يغتاله الفارس الخشبي
فينسى طريقه .